# المحاضرة 4

# الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم

**المحتويات :**

1-مفهوم العدول الصرفي.

2- العدول الصرفي في التعبير القرآني.

أ/ العدول في الصيغ

ب/ العدول الإسمي

ج/ العدول الفعلي

د/ العدول بين الاسم والفعل

## 1- مفهوم العدول الصرفي.

الصرف هو العلم بأحكام بنية الكلمة وبما لأحرفها من أصالة وزيادة وصحة وإعلال وإبدال، وهو يطلق على شيئين:

1-تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني كتحويل المصدر إلى صيغ الماضي والمضارع والأمر واسم الفاعل ..

2- تغيير الكلمة لغير معنى طارئ عليها ولكن لغرض آخر ينحصر بالزيادة والحذف والقلب وغيره.[1]

ويعرف العدول الصرفي بأنه ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول . وهذه الزيادة في الحروف وفق أوزان وصيغ معروفة في اللغة العربية بالاشتقاق.

ولما كان موضوع علم الصرف هو المفردات، وبالذّات الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة فإن مفهوم" العدول الصرفي "يتحدد بغياب التطابق بين هذه المفردات في الخطاب : كالاختلاف في الجنس ، أو العدد ، أو الزمن ؛ ومنه فإن كلّ ما يبدو من مفارقة بين أجزاء الكلام ؛ كإسناد الفعل المؤنّث إلى الفاعل المذكّر، أو الإخبار عن المستقبل بالماضي ، أو خطاب الواحد بلفظ الجماعة ، أو الجماعة بلفظ الواحد، أو نحو ذلك يدخل تحت مفهوم العدول الصرفي.

## 2- العدول الصرفي في التعبير القرآني.

### أ/ العدول في الصيغ:

**1-العدول من صيغة إلى أخرى:**

فكل صيغة تحمل معها دلالة لا تحملها صيغة أخرى مثل صيغة ( فعل) التي تدل على مجرد الفعل لمرة، (فعّل ) تدل على التكثير والتكرار، فلفظة (نزل) وردت بصيغ مختلفة في القرآن الكريم بما تخدم السياق، وتضفي دلالة إضافية على المعنى، قال تعالى: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ** ﴾ [آل عمران:3 ]، إذ جاء بالفعل (نزل) المتعلق بالقرآن الكريم؛ لأنه نزل منجما ولم ينزل دفعة واحدة، في حين استخدم لفظة (أنزل) المتعلق بالتوراة والإنجيل؛ لأنهما أُنزلا دفعة واحدة فاختلفت الصيغتان لاختلاف النزول.

و من العدول في الصيغ :

**2- العدول عن صيغة (فعل) إلى صيغة (افتعل):**

نحو قوله تعالى: ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: 42]، حيث عدل عن صيغة (فاعل) فلم يقل: قادر إلى صيغة (افتعل) ؛ لأنها أبلغ ففي العدول إلى هذه الصيغة إضافة دلالات أخرى ؛ إذ بينت شدة الأخذ الصادر عن قوة الغضب، كما أفادت الدلالة على بسط القدرة، فالمقتدر أبلغ في البسطة من القادر.[2]

**3- العدول عن صيغة اسم المفعول إلى صيغة اسم الفاعل:**

هناك أمثلة كثيرة في القرآن الكريم منها الآية 16 من سورة الشورى؛ في قوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد** ﴾ ويقتضي الاستعمال العرفي أن لفظة" :مدحوضة "في مكان" داحضة" لأن كل مبنى له معنى يؤديه بحسب الأصل، وقد يعدل به عن أصله لغرض بلاغي أو نفسي يصير بها ذلك الاستعمال ذا معنى عميق فالمعنى السطحي القريب في دلالة اسم المفعول قائم في الذهن ولكن عبر الاستعمال الخارق للقاعدة يتجه العقل إلى المعنى العميق الذي يستدل عليه بقرينة الاستعمال العدولي، فقد استعمل اسم الفاعل مكان اسم المفعول في قوله (داحضة) بدل (مدحوضة) .

**4- العدول عن مصدر الفعل الرباعي إلى مصدر الفعل الثلاثي:**

وذلك بأن يأتي بفعل رباعي يليه مصدر ، فيعدل إلى مصدر الفعل الثلاثي بدل الرباعي، قال تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** ﴾ [أل عمران: 37]، في الثناء على مريم قال تعالى (و أنبتها نباتا حسناً ) و لم يقل (إنْباتا حسنا) و لو قال تعالى: (إنْباتا ) لكان كله عملية لله وحده وليس لمريم أي فضل بمعنى أن الله تعالى أنبتها كما يشاء هو لكنه أراد أن يثني على مريم ويجعل لها فضلا في هذا الإنبات فقال تعالى: (و أنبتها نباتا حسناً) أي أنه تعالى أنبتها فنبتت نباتا حسنا و طاوعت أمر ربها.[3]

وإن تتبعنا المزيد من أشكال العدول في المشتقات لألفينا حالات كثيرة تتمثل في: العدول إلى المصدر(اسم الفاعل إلى المصدر، اسم المفعول إلى المصدر، الصفة المشبهة إلى المصدر)، العدول بين المصادر ( و الذي مثلنا له بالعدول عن مصدر الفعل الرباعي إلى مصدر الفعل الثلاثي)، العدول إلى

اسم المفعول ( عن المصدر إلى اسم المفعول، عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول) العدول إلى الصفة المشبهة، العدول إلى صيغ المبالغة.

**ب/ العدول الإسمي:**

يشمل العدول في الأسماء الجوانب الآتية:

-العدول في العدد .

-العدول في الجنس.

- العدول بين المعرفة والنكرة .

- العدول بين الضمائر.

و بالنظر إلى حجم الخطاب القرآني سنكتفي بإيراد مثال واحد عن كل جانب:

**1-العدول في العدد .**

يتراءى العدول في العدد ضمن عديد الاحتمالات، نمثل لإحداها و هو العدول عن المفرد إلى الجمع و العكس:

قد تأتي اللفظة القرآنية في موضع بصيغة الإفراد، ويعدل عنها في موضع آخر إلى صيغة الجمع ولكل حالة معناها المستقل تبعا للسياق الذي وردت فيه.

-السماء، السماوات:

وردت لفظة (السماء) في عدد من الآيات مفردة، وفي مواضع أخرى عدل عن الإفراد إلى صيغة الجمع، فإذا أريد العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة نحو قوله تعالى: ﴿ **سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ** ﴾ [الحديد: 1] أي :جميع سكانها على كثرتهم.

أما إذا أريد الجهة عدل إلى صيغة الإفراد نحو قوله تعالى: ﴿ **وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٖ فَأَسۡكَنَّٰهُ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابِۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ** ﴾ [المؤمنون: 18] إذ بّين سبحانه أن المطر ينزل من السماء بقدرة الله ورحمته، فبّين جهة نزول الماء، لذا جاء بصيغة الإفراد.

**2-العدول في الجنس.**

والعدول في الجنس إما أن يكون عن المؤّنث إلى المذكّر أو عن المذكّر إلى المؤّنث ؛ ومثال الأول قوله تعالى: ﴿ **ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا** ﴾ [المزمل:18] حيث وصف السماء بالوصف

المذكّر(منفطر) ، ولا يخلو ذلك من دلالة ينبغي ألا نقف في تحليلها عند تعليل الفراء بالجرأة حين قال: « العرب تجترئ على تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه هاء» [4].

**3-العدول بين المعرفة والنكرة .**

إن العدول عن المعرفة إلى النكرة هو من الوجهة النظرية ردّ فرعٍ إلى أصله باعتبار المعرفة فرعا عن النكرة ، ولكنه في واقع اللغة ودلالتها يتجاوز هذا التقسيم النظري إلى غايات بيانية وفنّية يكشف عنها سياق العبارة ومكانها في النص [5]، وقد جاء منه في القرآن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴾ [النساء: 47] ، « وإنّ القارئ ليتوقع أن يجد لفظ (وجوهكم) في مكان (وجوها) ، ولو كان ذلك كذلك ما أصاب المعنى أيّ قدر من الفساد ولكن مجيئ الوعيد في صورة التنكير نسب الوجوه إلى أصحابه ولكن بصورة غير مباشرة ، ومن ثّم جاءت مترفعة غير محددة لأصحاب هذه الوجوه من بين أهل الكتاب ،أَهُ م دعاة الكفر منهم فقط؟ أم هم جميع أفراد الطائفة ؟ ، وهكذا يقود التنكير الذهن إلى مسارب للمعنى متعدد ة وهو ما قصدت إليه الآية» .[6]

**4- العدول بين الضمائر.**

المقصود بالعدول بين الضمائر أن يكون الكلام بصيغة المخاطب وهو ُموجّه إلى الغائب ، أو بلفظ الغائب ومقصود به المخاطب الحاضر ، أو أن يكون الكلام عن فرد أو جماعة بلفظ الغائب ، ثم يترك له المجال ليتكلم عن نفسه بضمير المتكلم ، ويتحدد العدول بين الضمائر في النص عندما يتطلب السياق واحدا من الضمائر الثلاثة ( تكلم ، خطاب ، غيبة ). ومنه وفي قوله عز ذكره: ﴿ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ [الانسان: 28-29].

حيث قال: ( إلى ربه) ولم يقل : ( إلينا) ، و « هذه الصورة من العدول أنها غالبا ما تتعلق بالذات الإلهية وتقترن في مواضع كثيرة بالعدول عن الإضمار إلى إظهار الذات الفاعلة بأحد الأسماء الحسنى ، كما أنها صورة من الكثرة والاطراد بحيث تستعصي عن الإحصاء» [7] .

**جـ/ العدول الفعلي:**

تتلخص صور العدول في زمن الفعل في:

-العدول عن الماضي إلى المضارع .

-العدول عن المضارع إلى الماضي .

-العدول عن المضارع إلى الأمر .

-العدول عن الأمر إلى المضارع.

وعن الصورة الأولى (العدول عن الماضي إلى المضارع) رأى ابن الأثير في الإخبار عن الماضي بالمضارع أنَّه « أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي » . ولدى تعرضه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: 25] قال إنَّه إنما عطف المستقبل على الماضي لأن كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفرا ثانيا ، وصدهم متجدد على الأيام لم يمض كونه ، . وإنَّما هو مستمرٌ ستأنف في كل حين.[8]

**د/ العدول بين الاسم والفعل**

من بين صور هذا العدول: العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖ ﴾ [البقرة: 145]، حيث قال في الأولى تَبِعوا) و في الثانية والثالثة (تابع).

[1] محمد سعيد، بلال جنيدي، الشامل معجم في علوم اللغة العربية، دار العودة، بيروت، 1985 .، ط2، ص 291 .

[2] ماجدة صلاح حسن، العدول الصرفي في القرآن الكريم، المجلة الجامعية، جامعة السابع من ابريل، العدد 11، 2009، ص 25.

[3] المرجع نفسه، ص 31.

[4] الفراء أبو زكرياء يحيى بن زياد ، المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب ، دار التراث ، القاهرة ،ط1 ، 1989 ، ص 39.

[5] عبد الناصر مشري، دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، ص 71.

[6] ينظر : تمام حسان ؛ البيان في روائع القرآن ، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ، 2002 م. ص352 .

[7] عبد الناصر مشري، دلالات العدول الصرفي في القرآن الكريم، ص 80.

[8] المرجع نفسه، ص 118.